

دور اللغة العربية في بناء الهوية

The role of the Arabic language in building identity

سعيدة عبد النبي*

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف2- الجزائر

مخبر المقاربة التداولية واستراتيجيات الخطاب

sa.abdennebi@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/05

تاريخ القبول: 2024/10/26

الملخص

يهدف البحث إلى التحدث عن أهمية قضية اللغة والهوية، هذه القضية الوجودية لمستقبل الثقافة والمجتمعات العربية، وذلك نتيجة المكانة المركزية التي تتبوأها اللغة بصفاتها قضية عملية، تبرز خصوصيتها من ارتباطها الوثيق بحضارة الأمة؛ حيث إن اللغة ثقافة وحضارة، وهي أول ثابت من ثوابت الهوية عبر الأزمنة، فاللغة والهوية خاصيتان ملازمتان للإنسان لصلتهما بالفكر والدين، ومن الثابت أن أمجاد الأمم عائد إلى التمسك بلغاتها، التي ستبقى المعين الصافي لشخصية الأجيال وهويتها، وصاحبة الدور الأمثل في تشكيل الهوية والحفاظ عليها والاعتزاز بها، فلا هوية بلا لغة.

هذا ما سنطرق الحديث عنه في هذا البحث القائم على التساؤل الرئيسي: هل للغة أهمية في تشكيل هوية وثقافة المجتمعات؟

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ الهوية؛ العربية؛ الثقافة؛ المجتمعات.

Abstract

The research aims to talk about the importance of the issue of language and identity, this existential issue for the future of Arab culture and societies, as a result of the central position that language occupies as a practical issue, whose specificity emerges from their close connection. For the civilization of the nation. Since language is culture and civilization, and it is the first constant of identity over time, language and identity are two characteristics inherent to humans because of their connection to thought and religion, and it has been proven that the glories of nations are due to adhering to their languages, which will remain the pure source of the generations' personality and identity, and have the optimal role in forming, preserving and taking pride in identity. There is no identity without language.

This is what we will talk about in this research, based on the main question: Is language important in shaping the identity and culture of societies?

Keywords: language; Identity; Arab; Culture; Communities.

* المؤلف المرسل: سعيدة عبد النبي، الإيميل: sa.abdennebi@univ-setif2.dz

مقدمة:

لقد تجاوز الصراع في الحضارة الحديثة الصراع على الأرض والثروات والمياه... إلى صراع أعمق وأخطر هو صراع الهويات، وحاولت هذه الحضارة -الحديثة- إلغاء هويات الشعوب لصالح الهوية الأقوى في ظل العولمة، وهي الهوية المتفوقة حضارة وعلماء واقتصاداً وسياسة ولغة. وتسعى شعوب العالم الثالث لمقاومة هذا الضغط باسم العولمة؛ من خلال التمسك بهوياتها القومية والوطنية، ولعلّ أبرز عنصر من عناصر هذه الهوية هو اللغة، بما تحمله من زخم تاريخي وثقافي؛ تربط أبناء القومية الواحدة والوطن الواحد، وتحفظ تميزهم، وتصل حاضريهم بماضيهم، وتمدّهم الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء لحضارتهم وثقافتهم.

وإذا تحدثنا عن اللغة العربية فإننا نتحدث عن وعاء الدين الإسلامي ولغة كتابة، ولغة حضارة عريقة - الحضارة العربية الإسلامية - ولغة رسمية لما يقارب 400 مليون نسمة من العرب، ولغة روحية لأكثر من مليار مسلم، كما أن اللغة العربية تعدّ بدعاً في اللغات؛ من حيث أنها الأطول عمراً (من 200 سنة ق-هـ إلى القرن 14هـ)، محافظة على أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية؛ إذ يرى اللسانيون أن معظم اللغات تبدأ بالتغير والتفرع بمرور أربعة قرون، كما حدث للغتين اللاتينية واليونانية، اللتان تفرعتا إلى لهجات أصبحت لغات قائمة بذاتها فيما بعد، ولا شك أن ارتباط العربية بالقرآن الكريم هو العامل الأساس في بقائها واستمرارها وربما خلودها، فكون العربية لغة القرآن ولغة الحديث الشريف، وبها دونت العلوم الدينية والدنيوية، فحظيت عند المسلمين بالتقديس والتبجيل، ونُظر إلى تعلّمها أنه من تمام الدين.

ولعلّ هذا الطرح يجعلنا نتساءل: ما أهمية اللغة في تشكيل هوية وثقافة المجتمعات؟ وبغية الإجابة عن هذا التساؤل انتهج البحث المنهج الوصفي الملائم لطبيعة هذا الموضوع وفق العناصر الآتية:

- مقدّمة: تضمنت تمهيداً للموضوع وطرح إشكاليته وعرض عناصره.

1- في مفهوم اللغة والهوية.

2- حول مكانة اللغة العربية وإسهامها في تشكيل الهوية.

3- واقع اللغة العربية في الوطن العربي.

4- بين اللغة العربية والإسلام والأمن اللساني.

- خاتمة: تعرض أهم نتائج البحث ومقترحاته.

1. في مفهوم اللغة والهوية

1.1 ما اللغة؟

معلوم أنّ اللغة هي كلام البشر منطوقاً أم مكتوباً، وهي وسيلة ونظام للتواصل الأكثر شيوعاً والأعظم أهمية بين البشر؛ حيث أنها تتيح للناس التحدّث مع بعضهم، والتعبير عن آرائهم وأفكارهم، وقد ورد في كتاب الله الكريم ما يفيد أن الله علم الإنسان البيان، لقوله عز وجل: [الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ]، (سورة الرحمن: الآيات 1-4)، ويمكن استعمال كلمة (لغة) بصفة غير محددة؛ لتدل على أي نظام للتواصل، إلا أن أصل الكلمة يوضح معناها الأساسي، وتوجد اللغة منذ أن وُجد المجتمع البشري، وتعتمد معظم أشكال نشاطه، وتمكّن اللغة المشتركة الناس من العمل معاً، بوسائل متنوعة وغير محدودة، وقد يسرت اللغة بناء حضارة تقنية متطورة، ولولا وجودها -اللغة- لما كانت العلوم، والتجارة، والحكومة... إلخ (العزیز، مقاتل من الصحراء، 1995م)

وتعد اللغة أبرز ما يمكن أن يُعرّف به الإنسان؛ فهو حيوان ناطق، واللغة هي ما يربط حاضره بماضيه ومستقبله؛ فالحضارة الإنسانية الحالية تقوم على تراكمية معرفية علمية أداتها اللغة؛ لذلك لا تقتصر وظيفة اللغة على التواصل فقط؛ بل تتعداه إلى نقل خبرات السابقين والبناء عليها، واللغة العربية_ في واقعها الراهن _ تعيش صراعاً عظيماً من أجل الاستمرار، تتوسل في ذلك ما خلعه عليها المسلمون من قداسة وتبجيل لارتباطها بالقران الكريم والحديث النبوي الشريف، « هذا البعد الوجداني الذي يبدأ من الاعتزاز بها اعتزازاً إذا لم يكن تقديساً فهو درجة عالية من المحبة والتفضيل والتقدير والاحترام والتبجيل، هذا الشرط يُمثل المنطلق الروحي لعملية التطوير اللغوي؛ إذ لا يمكن تطوير أي شيء إلا بدافع وجداني أولاً يضعه في مركز العناية والتقدير والاهتمام». (العشي، 2017م، صفحة 9)

ولا يخفى على أحد أن الوضع اللغوي في الوطن العربي عامة، والجزائر خاصة بأنه وضع هجين؛ تتداخل فيه اللغات الأجنبية باللغة العربية الفصيحة ومختلف اللهجات العربية، ورغم أن اللغة العربية لغة رسمية لكلّ الدول العربية إلا أننا نلاحظ بسهولة أن اللغات الأجنبية تسيطر على الإدارات والتعليم والإعلام ولغة الساسة العرب، وعلى المحيط الاجتماعي والثقافي بوجه عام، كما تتغول اللهجات العربية؛ لتستولي على وظائف لغوية كانت إلى عهد قريب خاصة باللغة العربية الفصيحة. و« المطلوب اليوم هو أن يحسم المسؤولون الموقف الرسمي من التبعية اللغوية، ويجتهدون في وضع سياسة لغوية رشيدة جادة، تُعيد للعربية دورها الكامل الذي يجب أن تضطلع

به بصفتها اللغة الوطنية والرسمية، وتحدد للغات الأجنبية الأدوار التي تسند إليها، باعتبارها روافد مساعدة ونوافذ نطل منها على تجارب الغير، إن هذا أهم جانب من معركة الهوية التي نخوضها.» (فضيل، 2013م، صفحة 40)

ولا بأس هنا من الإلمام إمامة سريعة للتحديث عن واقع اللغة العربية في وطننا العربي، الذي نلاحظ فيه للأسف استمرار الهجين اللغوي وفي غيره من الدول العربية؛ مما يؤدي إلى الانتقاص من هبة الدولة وسيادتها، فاللغة سيادة؛ سيادة الدولة والشعب، وإن تحررت الشعوب من مستعمرها غالباً ما اقترن بالتححرر من لغة المستعمر، وحتى الدول التي حافظت على الغنيمة اللغوية بعد الاستقلال سعت إلى جعلها لغة فاقدة لسماتها الاستعمارية (decolonized)؛ بغية تلافي التبعية، أو التعاون (البريء) لخدمة المصلحة غير الوطنية.... إلخ. (الفهري، 2013م، صفحة 8)، والغنيمة اللغوية في الجزائر تغيرت إلى لغة رسمية فعلية مهيمنة على أهم المجالات الحيوية فيها فعليا.

2.1 ما الهوية؟

عند بحثنا عن مصطلح الهوية في اللغة العربية لم نعثر له على أثر في المعاجم القديمة، بالرغم من تداوله في الثقافة العربية، خاصة عند المتكلمين والمناطق؛ فقد ذكره "الجرجاني" في (التعريفات)، و"ابن رشد" في تلخيص كتاب (ما بعد الطبيعة)، ولابن خلدون ووفات عند هذا المفهوم؛ حيث عدّ أن مميزات الهوية أنها تاريخية ثقافية أكثر من طبيعية، كما عدّ التحول أصيلاً فيها، ويؤكد أن هذا التحول يغنيها ولا يلغيها، وبناء على فهمه، يجب أن نفرق في الهوية بين جانب طبعي يدخل فيه الجنس، والصفات الفسيولوجية، وبين جانب كسبي تدخل فيه اللغة والدين والأعراف والتقاليد؛ أي كل ما يتعلمه الإنسان من الآخرين إما بالتقليد أو بالمحاكاة، والملاحظ أن الجوانب المكتسبة للهوية تُشكّل مجالاً واسعاً للتبدّل، وإن كان بعضها أكثر ثباتاً من بعض، فالتقاليد والعادات تتطور سريعاً، وذلك ما يشهد عليه واقع الحال في كثير من مظاهر ثقافتنا العربية، بينما يصعب على المجتمع الانتقال من لغة إلى أخرى بالسرعة والسلاسة ذاتها، ويصبح الأمر أعرس عندما يرتبط الأمر بنظام المعتقدات الدينية؛ الذي يُشكل سقف الهوية الذي لا يمكن تجاوزه إلا في حالات نادرة؛ لتعلق الدين بعمق الإنسان وروحه وجدانه ووجوده. (العشيري، 2021م)

أما في بعض المعاجم الغربية نجد أن الهوية (identité) بالفرنسية أو (identity) بالإنجليزية، تدل على الصفات الجوهرية التي تجعل الشيء في ذاته مُميّزاً عن غيره، كما تعني

من جهة أخرى المطابقة؛ فالهوية هي السمات الأساسية التي تميز الفرد، ثم السمات التي تشركه مع غيره، وتميزه عن المجموعات الأخرى، وهذا ما يشكل هويته الجماعية. (العشيري، 2021م) يشعر كل إنسان بالانتماء إلى بيئة ثقافية وحضارية معينة تمنحه التميز عن غيره من البشر، فتتكون له هوية من: لغة ودين، ووجود ومصير مشتركين، وعادات وتقاليد، فالهوية تطلق على "مجموعة خصائص يُفترض أنها أساسية، مستقرة ومستمرة عند فرد من الأفراد، على الرغم مما قد يطرأ عليه من تغيرات، وعادة ما ينظر إلى تلك الخصائص على أنها هي التي تجعله يظل هو، متماثلاً دائماً مع ذاته؛ بحيث يمكن التعرف إليه من خلالها وتمييزه من غيره" (الدواي، 2013م، صفحة 225)، وعادة ما يُعرّف الفرد بلغته فيقال: عربي، وإنجليزي، وألماني... وغير ذلك، نسبة إلى لغة كل واحد منهم؛ بل تعرّف الدولة كاملة بلغتها فيقال: الدولة العربية، والدولة الروسية، والدولة الإيطالية... إلخ، وتقوى الدولة أو تضعف بقوة أو ضعف لغتها.

والأمة العربية كغيرها من الأمم لها من الخصائص والسمات المشتركة والمميزة ما يجعلها ذات هوية خاصة تمثل اللغة فيها أهم مكوّن، إضافة إلى الدين الإسلامي، والامتداد الجغرافي، والتاريخ المشترك، والحضارة التي يُعتزّ بها، إلا أن هذه الهوية تواجه "تحديات صعبة يرتبط بعضها بضغط العولمة ونفوذ النموذج الغربي، ويرتبط بعضها الآخر بمقتضيات النهضة والتقدم في المجال العربي، ومن جملة هذه التحديات: لغة التعليم والبحث العلمي التي هي في عدد من البلدان لغة أجنبية[...]. والحد من التأثيرات السلبية لهذا التحدي في استقرار الهوية وتطورها السلس، لهذا لا بد من إدراك التفاعل القائم بين الهوية ولغة التعليم من منظورات معرفية مختلفة إدراكاً كلياً أو شمولياً استناداً إلى نماذج ملموسة" (جبرون، 2013م، صفحة 51)

هذا وتنقسم الهوية إلى قسمين متكاملين هما: الهوية القومية والهوية الوطنية، ولا ريب أن الاعتزاز بالهوية بقسميها مطلوب على عكس ما حدث من انفجار للهوية خارج حدودها فيما عُرف بالنازية والفاشية والصهيونية... وغيرهم، « ففي النازية تنفجر الهوية الألمانية الفردية والجماعية خارج حدودها، لا لمجرد ضم كل ألماني خارج حدود ألمانيا باعتبارها دولة وطنية؛ بل لتبتلع هويات الآخرين المجاورة [...]؛ فالجنس الآري أعلى وأسمى من الجنس السامي [...] وما قامت به النازية في أوروبا والمجال الحيوي في آسيا، قامت به الفاشية في إفريقيا حينما احتلت إيطاليا الحبشة والصومال وليبيا، امتداداً للهوية الإيطالية خارج حدودها، ثم قامت الصهيونية بالدور نفسه؛ عندما جمعت الهوية اليهودية من كل مكان، وهاجرت إلى فلسطين، فلا توجد إلا هوية واحدة هي الهوية

اليهودية...، وتقوم الهوية هنا ليس فقط على إثبات الذات، بل على العدوان على الآخر...» (حنفي، 2013م، صفحة 193)، فالاعتزاز بالهوية القومية أو الوطنية لا يُبيح الاعتداء على هويات الآخرين وضمهم غنوة إليها، واستغلال ثرواتهم، وإذكاء نعراتهم الطائفية، وجعل بلدانهم بُر حروب ونزاعات... وفي تاريخ البشرية كثيرا ما نلاحظ نماذج من انفجار الهويات خارج حدودها وما سبق ذكره كان أبرزها.

هكذا كانت الهوية وما زالت مسألة مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات، وفي عصرنا الحالي بسبب العولمة. أصبحت أكثر أهمية وبروزا ويصف جبرون هذه الأهمية كآتي: ت عد الهوية وقضاياها من الإشكاليات الحديثة في التداول الفكري الإنساني، إذ لا تخلو ثقافة من الثقافات المكونة للنسيج الإنساني على وجه البسيطة من سؤال الهوية. ويتزامن هذا الاهتمام والحرص من تنامي مظاهر العولمة الثقافية التي ضيقت على الخصوصيات المحلية، مع تصاعد نداءات الحفاظ على التنوع الثقافي وصونه عالميا. في هذا السياق، لا بد من القول إن الهوية هي من الجدل في مجالي مصطلح أثار كثيرا البحث العلمي والنقاش السياسي، إل إن الجميع متفقون على عدة أمور في الدراسة والتعامل مع الهوية وعلاقتها باللغة: أول، إن اللغة هي عنصر مهم وحاسم في الهوية، فالمجموعات القومية أعادت تشكيل نفسها من خلال اللغة القومية؛ ثانيا، الهوية ليست ثابتة، وإنما هي دينامية، وتتفاعل مع الآخر، فهي إدراك ذهني لا بد من أن ينعكس على سلوكيات الفرد والمجموعة. (جبرون، 2013م، صفحة 49)

2. حول مكانة اللغة العربية وإسهامها في تشكيل الهوية

1.2 مكانة اللغة العربية:

لسنا بحاجة هنا إلى التذكير بمكانة اللغة العربية؛ وإنما ما نريد بسطه هو ما يميزها بإسهامها في خلق هوية شاملة؛ فإذا كانت هوية بعض الثقافات هوية جزئية تتعلق ببعض المظاهر الثقافية كالغناء واللباس والطعام والشعر والقصص، فإن العربية تخاطب روح العربي وذاكرته ووجدانه، وهي إحدى اللغات السامية والحية في العالم الإسلامي، وكما يرى "حنا الفاخوري" صاحب تاريخ الأدب العربي: أن العربية ولاحتباسها في جزيرة العرب، لم تتعرض لما تعرضت له باقي اللغات السامية من اختلاط، فظلت بذلك محافظة على نقائها وأصالتها، وحافظت على كل خصائص اللغة السامية الأم، وذلك لاحتباس العرب في صحرائهم واعتصامهم بها دون غيرهم من الشعوب (الفاخوري، 1980م، صفحة 22)

كما أن اللغة العربية لغة عريقة فقد أخرج ابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما: " أن آدم كانت لغته في الجنة العربية، فلما عصى سلبه الله العربية، فتكلم بالسرانية ، فلما تاب ردّ الله إليه العربية." ويذكر السيوطي عن عبد الملك بن حبيب أن اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربي إلى أن طال العهد، فحُرف وصار سريانيا". (الأشعري، 2018م، صفحة 56)

ولعلّ أعظم ميزة للغة العربية هو أنها لغة القرآن الكريم ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) [فصلت: 3]، فهي لغة مختارة، اختارها سبحانه وتعالى من بين كل اللغات لشريعته الطيبة الطاهرة، ويذكر ابن تيمية أن اعتياد اللغة العربية يؤثر في العقل والدين والخلق، وأن معرفتها فرض كفاية، فإن فهم القرآن الكريم والسنة النبوية فرض، ولا يُفهمان إلا باللغة العربية، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (ابن تيمية، 1413هـ، صفحة 22)، فقد ميز الله هذه اللغة عن غيرها من اللغات حتى تبوّأت مكانة خاصة وسامية بين اللغات، ولعلنا نشير في هذا المقام إلى بعض ميزاتها التي لا نجدها في أي لغة أخرى:

- أنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، فهي لغة الدين والثقافة.
- هي أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال، مع الاستطاعة في التعبير عن مدارك العلم المختلفة
- أداة التعارف بين ملايين البشر المنتشرين في أنحاء العالم، وهي ثابتة الجذور والأصول، متجددة بفضل سماتها.
- لغة تحمل رسالة إنسانية بأفكارها ومفاهيمها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب ركيزتها الأساسية.
- من مزاياها التفصيل والتقسيم والترادف مما يدل على غزارة مادتها؛ فهي تجمع أنواع الصفات وتقسيم الأصوات وتفصيل الأسماء، إضافة إلى مزدوج الكلام والتكرار والاشتقاق والنحت والقلب.... إلخ (غزالة، 1935م، صفحة من 7 إلى 11) .
- تعدّ نقطة الالتقاء ووسيلة التواصل بين العرب وشعوب كثيرة في هذه الأرض أخذت عن العرب جزءاً كبيراً من ثقافتهم واشتركت معهم، وجعلت الكتاب العربي المبين ركناً أساسياً من ثقافتها، وعنصراً جوهرياً في تربيتها الفكرية والخلقية (السليم، صفحة 2).

- إن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة القادرة على ضمان الحظوظ الاجتماعية للعرب؛ بسبب قربها من اللهجات التي يُعدُّ تعلمها استبطاناً لجزء كبير من البنية اللغوية للعربية الفصحى، مما سيقطع الطريق على الذين يتسلقون سلم الارتقاء الاجتماعي على أساس التنشئة الاجتماعية التطبيقية التي تحضر فيها اللغة الأجنبية بشكل بارز. (العشيري، 2021م).

ويمكن القول أنه مهما عرّجنا على مكانة اللغة العربية وذكر ميزاتها، فإن الموضوع بعيد الغور واسع المجال، ونظن بذلك أن أئمة اللغة قد وفوه حقّه من البحث، ولم ننهج فيه هنا منهج من تقدّم من الباحثين؛ بل أردنا خوض غمار البحث في كيف يمكن لهذه اللغة السامية أن تعمل على تشكيل الهوية الفردية والجماعية العربية، فلا يخفى عن العربيّ عامة فضلاً عن المثقف واقع اللغة العربية المتردي؛ إذ تراجعت وظائفها وحُصرت في مجالات ضيقة بفعل مزاحمة اللهجات العربية لها في الإعلام والتعليم، ووسائل التواصل الاجتماعي، واللغات الأجنبية (خاصة لغة المستعمر)، إضافة إلى لغات الأقليات المطالبة بالمساواة مع اللغة العربية، قانوناً واستعمالاً، مما يتوجب عملاً فوراً مدروساً دقيقاً للحفاظ على مكانة العربية في الدول العربية ضمن إطار ما يُعرف بالأمن اللساني.

2.2 إسهام اللغة العربية في تشكيل الهوية:

تشكل اللغة العربية رمزاً للهوية العربية في امتدادها التاريخي بسبب طابعها الكتابي الذي تمكّن من تخليد مئات الآلاف من الأعمال المحفوظة، ولعلنا نلاحظ حميميتنا بأجدادنا التي تزداد كلما أفصحت الكتب عن طريقة تفكيرهم ومشاعرهم وعظيم إنجازاتهم؛ فاللغة كانت ولا تزال مُكوّناً أساسياً للهوية، ولا يمكن فهم صعود اللهجات المحلية إلا بصعود الفكر القومي، كما يمكنها أن تقوم بمهام سياسية خطيرة كخلق الصراعات السياسية وتقوية الجبهة الداخلية.

واللغة عموماً والعربية خصوصاً تسهم في تشكيل الهوية الفردية بعمق، وهو ما نراه منعكساً في عبارات من قبيل: «الإنسان مخبوء تحت لسانه»، ويرتبط الإنجاز الفردي للغة بالهوية الفردية التي تجعل الناس يتميزون بطريقتهم في الكلام، وما يؤكّد النزعة التحريرية التي تدفع الإنسان إلى إثبات الذات مع احترام مبدأ التعاون، حسب (بول غرايس Paul grayce)، هو أنّ المبدعون يصلون إلى طرق أكثر خصوصية في استعمالاتهم اللغوية؛ بل يرى علماء النفس أن مفهوم الأنا، باعتباره نواة الهوية الفردية، لا يتحقق إلا باكتساب المتعلم أنساقاً لغوية من مثل ضمير المتكلم «أنا» وضمير المخاطب «أنت/أنتِ» وضمير الغائب «هو/هي»، وإضافة إلى ما سبق فإن مهمة اللغة الحاسمة تكمن في رسم معالم الهوية الفردية من خلال تعيين الأدوار الاجتماعية لكل فرد؛

فعند تمثّل الطفل لكلمة «صبي أو ولد» يجعله يشعر باختلافه عن الشخص الذي يحمل كلمة «بنت أو فتاة»، كما يختلف عن الشخص الذي يحمل كلمة «أم أو أب»... وهكذا، فاللغة نفسها توزّع تعبيرات وأساليب مختلفة على كلّ فرد؛ مثلاً عبارة «الله يرضى عنك» تظل حكراً على الأب والأم، لهذا ربما نضحك عندما يستعملها الأطفال لما فيه من نزوح عن الاصطلاحات والمواضع الاجتماعية، وقد لا نبالغ إذا قلنا إن اللغة تمنح الإنسان فرصة إثبات ذاته من خلال القدرة على تحقيق أفعال لغوية، وهي جمل تعطي المتلفظ بها وضعية مميزة، داخل مقام التلقّظ وتحدد علاقاته مع المخاطبين. ومن بين المكونات اللغوية التي تسهم في خلق الهوية الفردية والإحساس بالتميز، أسماء الأعلام، وبما أنه لا يحصل أن يشترك أخوان في الاسم نفسه، فإن بداية إحساس الطفل بذاته، وتميزه عن غيره، تنشأ بعد تلبس اسم العلم بشخصه دون سواه.

أما الهوية الجماعية فيقصد بها مجموع الروابط التي تضم أعضاء مجموعات مهنية أو طبقات اجتماعية أو مجموعات دينية أو وطنية... إلخ، وتُبنى هذه الهوية على حركة مزدوجة من التّضمين والاستثناء لأعضائها، وتشكّل اللغة جزءاً مهماً لهذه الهوية، وتتسم عن باقي الأنساق الثقافية بأمريين هما: السبق والتأويل، فالظاهر أن أول ما يسمعه الطفل الناشئ هو الضجيج الصادر حوله، الذي سيتحوّل فيما بعد إلى أصوات ذات معنى، أمّا التأويل فنقصد به أنّ العديد من المظاهر الثقافية الأخرى تؤوّل في النهاية إلى عبارات لغوية من قبيل الآداب والأمثال والحكم.

واللغة أخطر رابطة تاريخية تربط بين الأجيال المختلفة من الشعب الواحد؛ ذلك أن اللغة وعاء التجارب الشعبية التي تتوارثها الأجيال، فماذا بقي لنا من أجدادنا غير الذي دونوه في أسفارهم وحفظوه في أشعارهم أو أمثالهم؟! وإذا نظرنا إلى اللسان في تزامنه ظهرت لنا خصيصة أخرى غير خصيصة «الوصل التاريخي» هي خصيصة «الوصل التزامني». ويترتب على هذا الأخير تشكّل ملامح الهوية في طابعها الجمعي التضامني المضمّر؛ فالطفل كما يقول المرحوم عبد الحميد بن باديس: إذا عرف من يشبهونه في ماضيه وحاضره ومستقبله، ودخل ميدان الحياة فوجد فيهم صورته بوجدانه ولسانه ونواذعه، شعر نحوهم من الحبّ كما كان يشعر به اتجاه عائلته في صغره، وهذه المحبة لهم في العرف العام تُعدّ وطني، إن اللسان في مبدئه ومنتهاه قواعد تواضع عليها القوم لمنفعة دنيوية أو أخروية، وهذا التعاقد الضمني ينسج خيوطاً روحية هي لحمة التعاطف والمحبة والحنو والعصبية بين المجموعات، بل يتعدى ذلك إلى خلق مجموعات هوياتية داخل هويات أكبر، وهو ما أكّدته أبحاث سوسيولسانية عدّة عن الاختلافات اللغوية بين الطبقات

الاجتماعية (بازيل برنشتاين في بريطانيا ولييوف في أمريكا...)، إضافة إلى الاختلافات اللغوية المبنية على أسس جنسية أو جغرافية أو عمرية أو طائفية مثل دراسة «جون جوزيف» حول المجموعات الدينية في لبنان.

تعمل اللغة على تكوين الهوية الجماعية بسبب الاختلاف بين اللغات، فيشعر كل فرد من هذه الجماعة أنه يتكلم لغة تختلف عن لغة الجماعة المجاورة، ولهذا فإن اللغة وجوداً حقيقياً في الإحساس المشترك بين الذين يستعملونها.

وقد أكدت الدلائل والتداوليات الحديثة أن بناء معنى اللفظ وتفسيره هو عملية يتفاوض بشأنها جلّ أطراف الحوار، حيث يقول طه عبد الرحمن: «فما تكلم أحد إلا وأشرك معه المخاطب في إنشاء كلامه، كما لو كان يسمع بأذن غيره، وكان الغير ينطق بلسانه» (طه، 2000م، صفحة 50) وهذه العملية التفاعلية تشكل روابط معنوية ترسخ الهوية الجماعية

كما تم إرساء الصلة الوثيقة بين اللغة والهوية القومية في نهاية القرن التاسع عشر، وأن اللغة هي إحدى أهم مؤشرات الهوية الفردية والجماعية، وهناك ادعاء أن اللغة هي أحد المكونات الرئيسية التي تستعملها المجموعات كرمز للهوية والانتماء الثقافي، كما يتم إدراك اللغة بأنها عامل موحد لثقافة معينة، ورمز قوي للهوية الجماعية، وحتى نكون أكثر فاعلية، فإن دور اللغات كراسمة للحدود أو مؤدية لدور الحامي أو الحارس، تتطلب التمييز بين مهمتين أساسيتين: التواصلية أو الأدائية، والرمزية التي مع أنها مترابطة في الاستعمال اللغوي العادي، إلا أنها منفصلة من الناحية التحليلية، فبعد أن أجريت مقارنة بين مشروع الوحدة العربية ومشروع الوحدة الأوروبية، استنتج أن الأول تؤسسها وحدة اللغة والثقافة... بينما تركز الثانية على الاقتصاد والمصالح أساساً. ومعلوم أن الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار، حتى ولو توفرت الإرادة السياسية. فنرى أن هنالك ارتباطاً وثيقاً ما بين اللغة العربية والهوية العربية القومية، إلى درجة أنه أصبح من المستحيل الفصل بينهما هؤلاء الذين يتحدثون العربية يشكلون "أمة"، وهذه الأمة يجب أن تكون موحدة ومستقلة، وهي معتقدات اكتسبت قوة سياسية في القرن العشرين، لكن بالعودة إلى الوراء في التاريخ، نجد أن العرب كانوا واعين للغتهم بصورة خاصة وفخوريين بها. وفي شبه الجزيرة العربية في الفترة الجاهلية، كان لديهم انتماء "عصبي" سببه الصراعات القبلية والعائلية، وكان هنالك وحدة ضمت هؤلاء الذين (أماره، 2022م، صفحة 120)

ولأهمية العلاقة بين اللغة العربية والهوية يخلص بلحبيب إلى الاستنتاج أن "مسألة الهوية اللغوية يجب أن تُرفع إلى مرتبة القضايا السياسية والاستراتيجية الكبرى للأمة، وأن تُعتبر قضية حكومات وشعوب لا قضية مهتمين ومتخصصين، لأن اللغة من المسؤوليات المباشرة للدولة". (رشيد، 2013م، صفحة 248)

ومن الصحيح أن اللغة العربية أدت دورا هاما في تشكيل القومية العربية في البلاد العربية، لكن مما لا شك فيه أن هناك مركبات أخرى مثل: التاريخ والثقافة والعادات والتقاليد، والتي ذكرها مناصرو الفكر القومي، كان لها دور في تشكيل الهوية القومية. غير أن أيا من هذه المركبات لم ينل الأهمية التي نالتها اللغة، فقد ذهب "سليمان" إلى الاستنتاج: "لذا، من الصحيح القول إن القومية العربية مبنية على الافتراض أن أولئك الذين يتشاطرون اللغة العربية كلغتهم الشائعة ينتمون إلى الشعب نفسه" (Suleiman, 2003)

وإن الفكر العربي لم يكن باللغة العربية التي هي مركب أساسي فيه هو التيار الوحيد في العالم العربي؛ فدور اللغة العربية ارتبط بالقومية المحلية والقومية الإسلامية أيضا، فأولئك الذين يدعمون "القومية المحلية" في العالم العربي ينكرون أن في استطاعة اللغة العربية أن تشكل أساسا للهوية القومية، لتشمل جميع الذين يشتركون في لغة واحدة. (أمارة، 2022م، صفحة 121)

ولأهمية العلاقة بين اللغة العربية والهوية نخلص إلى أن مسألة الهوية اللغوية لا بد أن ترفع إلى مرتبة الاستراتيجية الكبرى للأمة والقضايا السياسية، وأن تعتبر قضية حكومات وشعوب لا قضية مهتمين ومتخصصين، لأن اللغة من مسؤوليات الدولة المباشرة ثم الشعب.

3. بين اللغة العربية والإسلام والأمن اللساني:

1.3 العربية والإسلام:

ارتبطت اللغة العربية بالإسلام ارتباطا وثيقا وانتشرت بانتشاره، واكتسبت قدسيته من قدسية كتاب الله، فكونا معا أساس الحضارة العربية الإسلامية... ولم تنتشر كونها لغة عرق معين، إذ فُتحت « الأبواب على مصاريعها أمام المشاركة في التغيير الثقافي الكبير الذي شهده العالم من خلال اللغة العربية، من خلال المنتمين "الجدد" إليها، سواء عبر الوظائف الكبرى للكتاب والوزراء أو الإنتاج الغزير للمترجمين والعلماء والمبدعين في شتى المجالات، بلسان عربي مبين أصبح يشكّل الهوية والموروث الثقافي والفكري، أيا كانت الأصول العرقية للمشاركين فيه. » (درويش، 2006م، صفحة 63 و64)

لقد ربط الإسلام بين علوم الشريعة واللغة العربية ربطاً محكماً؛ لأن اللغة العربية محمولة على أصول الشريعة، وأصبح الاجتهاد فيها مشروطاً بمعرفة العربية معرفة كاملة، وكما يقول ابن جني: "ذلك أكثر من ظل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، وإنما استهواه ضعفه في اللغة الكريمة الشريفة" (ابن جني، 1952م، صفحة 245)، ولا شك أن ارتباط العربية بالقرآن الكريم الذي تعهد الله تعالى بحفظه، وفر لها عوامل البقاء « وذلك الوعد يهب الناس دائماً خيطاً من الأمل في وجه العواصف التي تجتاح اللغة، دون أن يعطي اللغة ذاتها قداسة، ويعطي علماء الدين _ باعتبارهم علماء دين فقط _ سلطة خاصة في التحكم في اللغة، ولكن لهم الحق بالطبع [...] أن يطرحوا اجتهاداتهم حولها. » (درويش، 2006م، صفحة 64)، ويخطئ من يعتقد أن ارتباط العربية بالإسلام يصيبها بالجمود والتحجر، فالقرآن ذاته حمال أوجه، وله من التفسير ما يفوق ألفي ٢٠٠٠ تفسير، فالصلة بين القرآن الكريم واللغة العربية « لا تضع أي قيد على حركة اللغة ونموها، ولا تقتصر الهيمنة عليها على علماء الدين ولا تمنع غيرهم مسلمين كانوا أو غير مسلمين من الحوار والنقاش وطرح الآراء، ولكن المهم أن يكون المناقش يمتلك القدر الضروري من المعرفة بموضوع اللغة، شأنه في ذلك شأن المناقش في أي موضوع من موضوعات المعرفة الإنسانية. » (درويش، 2006م، صفحة نفسها)

واللغة العربية إضافة إلى كونها لغة العرب فهي اللغة الاعتبارية لكل المسلمين الذين يتمنون قراءة القرآن الكريم كما نزل بالعربية، وتدبره بتفسيره العربية؛ لذلك نرى إقبالا كبيرا على تعلم العربية من قبل المسلمين الجدد غير العرب، وكلما ارتفع عدد هؤلاء ارتفع عدد مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويرى المرزوقي أن اللغة العربية تملك ما يشبه التأمين على الحياة لارتباطها بالقرآن... (البيض، 2013م، صفحة من 386 إلى 388)

وقد كان لانتشار العربية بانتشار الإسلام أثره الكبير على لغات الشعوب الإسلامية من غير العرب، إذ أثرت اللغة العربية وتأثرت باللغات: الفارسية والتركية والأردية والكردية والبربرية والقشتالية وغيرها؛ بل واتخذت كثيرا من اللغات الخط العربي خطأً للكتابة، فضلا عن استخدام العربية في مختلف العبادات.

ويرى عبد القادر الفاسي الفهري أن منزلة اللغة العربية « الدينية والرمزية اليوم لم تعد كافية، في منظور عدد من متكلميها، لتضمن لها البقاء في مستوى الطموح، بل لضمان وضعها الاعتباري. وما هو مطلوب هو أن تحيا اللغة العربية بدُنْيَوتِها، إضافة إلى دينيَّتها، أو كونها لسان القرآن.

فالتوصيف الموضوعي لوضع اللغة العربية يُقر بأنها تعيش أزمة، رغم ما تحتفظ به من نقاط قوة، لضعف الإرادة وقرار الدولة أو الدول العربية اللغوي. وإن تقويم هذا الوضع يحتاج إلى مجهودات جذرية وشاملة [...] من أجل تنفيذ خطة نهوض متكاملة ودقيقة.» (الفهري، 2013م، صفحة 279 و280)

لذا فإن الدين يشكل سقف الهوية، وإذا ثبت ذلك عرفنا أهمية اللغة العربية في بناء الهوية الوطنية للدول العربية، إذ لا تكاد تتفصل عن الدين، ونريد أن نؤكد أيضا، أن ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي، وبمعجزة القرآن المتمثلة في لغته، يعزز من أهمية اللغة العربية في الهوية العربية، وربما يجعلها من الحالات ذات الخصوصية مقارنة بلغاتٍ وأوضاعٍ أخرى.

2.3 في الأمن اللساني العربي:

إن الحديث عن الأزمة التي تعيشها اللغة العربية في الوطن العربي والمضايقات التي تتعرض لها تستوجب حولا استعجالية صادقة، فخبراء اللغة العرب يدقون ناقوس الخطر شحذا للهمم وإيقاظا للمشاعر الوطنية والقومية، حيث يصرّح حلمي خليل قائلا: « بل لعلّي لا أكون مسرفا إذا قلت إنها مشكلات خليقة بأن تهز كيان الأمة العربية هزا، سواء اليوم أو غدا، فماذا عن العربية والمستقبل؟ هل أعددنا لذلك سياسة لغوية محددة وواضحة؟ ألا يدق زحف اللغات الأجنبية ومحاربتها للعربية في عقر دارها في كثير من بلدان الوطن العربي ناقوس الخطر الذي لا نكاد نعرف أثره أو مداه على لغتنا في العشرين عام القادمة مثلا؟» (خليل، 2016م، صفحة 13) هذه الأسئلة التي طرحها حلمي خليل وغيرها تحيلنا إلى الحديث عن الأمن اللساني العربي.

فقد بلغت اللغة العربية من التدهور والازدراء والتهميش أن قامت جمعيات للدفاع عنها في كثير من الدول العربية، وانفصام الموقف السياسي اتجاه اللغة العربية بعدها اللغة الرسمية لكل الدول العربية دستوريا، إلا أن الواقع يقول أن اللغات الأجنبية هي المهيمنة، إضافة إلى اللهجات العربية، ولعل ما حدث في الجزائر من تعطيل التعريب وتجميد قانون تعميم استعمال اللغة العربية في الإدارات والتعليم والإعلام وتغول الفرنكفونيين، وترسيم اللغة الأمازيغية التي هي في الحقيقة لغات كثيرة، وهذا ليس حبا في الأمازيغية بل إضعاف للغة العربية، التي كانت تمثل ندا قويا للغة الفرنسية. والمخطط له هو تقليص واستبعاد اللغة العربية من أهم المجالات الحيوية للدولة الجزائرية منها: الإدارة والإعلام والدبلوماسية والتعليم، وحصرها في الآداب والعلوم الإنسانية وفي الوظيفة

الدينية، ويرى الدكتور زهير غازي زاهد أن هناك وسائل إذا طبقت ستحقق الأمن اللغوي العربي (زاهد، 2000م، صفحة 18) منها:

- السياسة اللغوية الموحدة.
- العمل الجادّ لتعريب التعليم والعلوم المختلفة وتدريسها في مراحل التعليم قبل الجامعة ثم المراحل العليا.

- مراعاة الاتساع اللغوي واتباع المرونة تجاه الجديد والشائع مع مراعاة الفصاحة.

إن التعثر في تحقيق الأمن اللساني العربي مرده عدم استقلال القرار السياسي للدول العربية، فالمستعمر خرج وترك وراءه نُخبا تدافع عن مصالحه وثقافته ولغته وهي نخب نافذة في دواليب السلطة، تعمل بكل إخلاص لعرقلة كل مشروع حضاري عربي أو سياسة لغوية تقزم من حجم اللغات الأجنبية في الوطن العربي، ففرنسا مثلا تدعم دسترة اللغات الأمازيغية في دول المغرب العربي وتُذكي النعرات العرقية، وتستقبل على أراضيتها دعاة الانفصال، رغم أن فرنسا تنتظر إلى اللغة الفرنسية «باعتبارها لغة سيدة لا تقبل المنافسة حتى من لغات هي أقرب أن تكون روافد لها، لكنها في الآن نفسه تصر على مشاركة اللغات الأخرى فضاءاتها الوطنية، أو أن تكون بديلا لتلك اللغات في أوطانها» (ليبض، 2013م، صفحة 372 و373)

وقد استشعرت اللغة الفرنسية خطر هيمنة اللغة الإنجليزية على البحث العلمي والشبكة العنكبوتية وعلى الاقتصاد والمال والأعمال ، فهي لغة العولمة، فأصدرت مجموعة من القرارات تقاوم بها هذه الهيمنة سعيا لتحقيق الأمن اللغوي الفرنسي.

والأمن اللغوي العربي لا يقل أهمية عن الأمن الغذائي والأمن العسكري، والاقتصادي...، هذا وتشهد كل الدول العربية تعدّدا لغويا (ازدواجية لغوية وثنائية لغوية)، وهي مطالبة «بتدبير هذا التعدّد اللغوي الذي هو وجه بارز من أوجه التعدد الثقافي. ففي هذه الدول يتعين اتخاذ إجراءات سياسية لتدبير الشأن اللغوي، وعدم هدر اللغات المتعددة في البلد الواحد وضمان سياسة تعددية تحمي الاستخدام العادل المتوازي للغتين أو أكثر [...] ويكون للبلد كله لغة واحدة مشتركة للنشاطات العامة، مثل الحياة المدنية التي تهتم الأمن القومي والتنمية الاقتصادية لجميع الأفراد على اختلاف لغاتهم...» (بودرع، 2013م، صفحة 113)، ولعل أكبر تحد يواجه اللغة العربية في العصر الحديث هو معركة المعلوماتية، التي لا تعترف بالحدود التقليدية ولا بالخصوصيات الثقافية، وبات لزاما معالجة اللغة العربية آليا وتعريب نظم التشغيل وإنتاج لغات برمجة عربية، لنهيئ اللغة العربية

لدخول عصر المعلومات لأن التهاون في أمور جدية كهذه يفضي بنا إلى ما لا تحمد عقباه. » حيث إن إسرائيل قد تقدمت إلى منظمة الوحدة الأوروبية لتطوير نظم الترجمة الآلية من لغات دول السوق إلى اللغة العربية (لا العبرية)؛ وذلك حتى تتأهل لدخول الأسواق العربية من هذا الباب، وحتى تستطيع النفاذ المباشر إلى التفاصيل الفنية الدقيقة لتعريب نظم المعلومات، والاحتفاظ بالأسرار التكنولوجية الدقيقة لتعريب نظم المعلومات. فإذا سمحنا لإسرائيل أن تتولى نيابة عنا مهمة معالجة اللغة العربية آليا، فعندئذ تكون قد حلت بنا كارثة ثقافية كبرى» (مذكور و هريدي، 2006م، صفحة 17)

وإن الحديث عن الأمن اللغوي هو الحديث عن الأمن الفكري والثقافي بالضرورة، وفي هذا الصدد نذكر أبرز الإجراءات التي اتخذها الدول العربية لتوفير الأمن اللغوي (المسدي، 2014م) - من الإجراءات الحكومية*:

- حيث عملت بعض الحكومات العربية على وضع قوانين حماية للغة العربية منها:
- قانون حماية اللغة العربية في سوريا، وكان أول قانون صدر لحمايتها في سوريا، وذلك بعد استقلالها، من خلال إصدار المرسوم التشريعي ذو الرقم 139، تاريخ 16/11/1952م.
- قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية في العراق، ذو الرقم 64 لعام 1977م.
- قانون حماية اللغة العربية في الأردن، ذو الرقم 35 تاريخ 17/05/2015م، ويشمل على ثمانية عشر مادة صاغها مجمع اللغة العربية بالأردن.
- مشروع تطوير اللغة العربية في دولة الإمارات، بمبادرة من سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، وقد ظهرت في إمارة أبو ظبي أكاديمية اللغة العربية أواخر عام 2009م عقب مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الدوحة بمارس 2009م، ومؤتمر القمة العربي بدمشق 2008م.
- مبادرة ميثاق اللغة العربية بدبي، أطلقها سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في أيار 2012م.
- قانون حماية اللغة العربية في قطر: أقره مجلس الوزراء القطري في العاشر من فبراير لعام 2017م.
- قانون تعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر، أصدره المجلس الشعبي الوطني، لكنه تجمد بإصدار مرسوم تشريعي يقضي على قانون تعميم استعمال اللغة العربية في 4 يوليو 1992م.

- قانون مجمع اللغة العربية في القاهرة: لم يصدر قانون خاص في مصر لحماية اللغة العربية، وإنما عدلت فقرة من قانون مجمع اللغة العربية في القاهرة، وتضمن إلزام الجهات في الدولة بتنفيذ قرارات مجمع اللغة العربية الرامية إلى سلامة اللغة العربية وحمايتها. (السيد، 2018م، صفحة 17)

- من الإجراءات الأهلية:

لم تكن الجهات الرسمية المساهم الوحيد في حماية اللغة العربية والحفاظ على سلامتها والاعتزاز بها، فقد كانت هناك جمعيات ولجان أهلية تعمل على ذلك أيضاً، ونشير هنا إلى بعض الجمعيات التي مثلت النموذج في مجال الاهتمام باللغة العربية على الصعيد الشعبي ومن هذه الجمعيات:

جمعية لسان العرب: نشأت في مصر 1992م، عنوانها "جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية".

جمعية حماية اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة:

جمعية حماة اللغة العربية في مصر: تأسست عام 2000م، وتعمل على التعريف بخصائص اللغة العربية وميزاتها وجمالياتها في الإبداع الأدبي والفكري والعلمي. جمعية فعل أمر في لبنان: تأسست الجمعية الثقافية فعل أمر بمبادرة ناشطين في المجتمع المدني ببلبنان في شهر أبريل عام 2009م. (السيد، 2018م، صفحة 17 و18)

إننا وفي ظل المخاطر التي تواجه اللغة العربية نحتاج إلى دفعة قوية من أصحاب القرار السياسي لتعيد الوهج إلى وجه اللغة العربية المخطوف، وما أجمل أن يتحالف سلطان العلم وسلطان السياسة لإعادة تلك النضارة للعربية، إنه ومع كل هذا السوس الذي نخر معمار اللغة، وحاول أن يخرج قطارها البديع عن سكتة السوية إلا أن الله قيض لهذه اللغة من الحماية والعناية ما جعلها كأهلها يضعفون ولا يموتون، لأن مادة الحياة في هذه اللغة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

خاتمة:

حاول البحث إبراز أهمية اللغة العربية في تشكيل الهوية، وقد انتهينا إلى مجموعة من النتائج نُجملها فيما يأتي:

- يتضح أن اللغة العربية لها دور حاسم في بناء الهوية العربية؛ إنها لغة تحمل في طياتها التقاليد والقيم والثقافة العربية، وتعكس تراثاً أدبياً هاماً وتاريخاً غنياً.

- تواجه اللغة العربية تحديات في العصر الحديث؛ تتطلب اهتمامًا وجهودًا للحفاظ على دورها وتطويرها.
- يجب على المجتمعات العربية العمل على تعزيز استخدام اللغة العربية وتعليمها بشكل فعال للأجيال القادمة، وتعزيز قيمتها ومكانتها في الحياة الثقافية والاجتماعية والفنية.
- ومن بين أهم المقترحات والحلول للحفاظ على اللغة العربية وتعزيز دورها في بناء الهوية العربية:

- تشجيع استخدام اللغة العربية في التعليم، وغرس حبّها في الأجيال الناشئة.
- التحفيز على استخدام اللغة العربية في مجالات العلوم والتكنولوجيا.
- إصدار التشريعات والقوانين التي تحافظ على اللغة وتعززها كون اللغة أهم عنصر في تشكيل الهوية.
- تفعيل قانوني التعريب، وتعميم استعمال اللغة العربية.
- إنشاء معاهد ومراكز تكوين المعلمين والأساتذة في تعليمية اللغة العربية.
- الحرص على استعمال اللغة العربية في مختلف الميادين: تعليم، إعلام، إدارة... وغيرهم.
- التأكيد على ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي فهي وعاء وحاضنته.
- السعي لتطوير طرق تدريس اللغة العربية من خلال الاطلاع على أحدث طرق التدريس مع زيادة الحجم الساعي لتدريسها، وجعلها مقياسا قارا في كل التخصصات الجامعية.
- إدخال اللغة العربية إلى الحاسوب (برمجيات، معاجم، ترجمة آلية...).
- السهر على وضع المصطلحات العلمية (ترجمة وتوليدا واشتقاقا...).
- تعزيز التمايز الحضاري والثقافي بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الحية، مع الانفتاح على اللغة الانجليزية كونها اللغة العلمية العالمية الأولى، والتخلي التدريجي عن اللغة الفرنسية التي فقدت مكانتها العلمية منذ عقود.
- دعم المحتوى العربي على الإنترنت من خلال المنتديات والمنصات العربية للمحتوى الرقمي العربي، والاهتمام بترجمة الخطابات أو النصوص من اللغات الأخرى إلى العربية... وغير ذلك مما يساهم في زيادة المحتوى العربي، فنحن نعلم أن العرب في هذا العصر يمرون بتغيرات هائلة على جميع الأصعدة، وهناك محاولات لبلورة هويتهم، لكننا نرجو في نهاية المطاف أن تكون اللغة العربية وارتباطها بالهوية العربية أقوى مما كان في عقود سابقة، وإلا لن نتحدث عن عالم عربي وعرب، وإنما عن دويلات لها لغات جديدة، وذات هويات قُطرية مرتبطة بهذه اللغات الجديدة، وحينها سنخسر لغتنا العربية العملاقة وبالتالي هويتنا.

المراجع:

- باللغة العربية:

- (1) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. (1413هـ). *اقتضاء الصراط المستقيم* (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار الجبل.
- (2) أحمد درويش. (2006م). *إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية تطوير اللغة العربية* (الإصدار ط1). القاهرة، مصر: دار النهضة المصرية.
- (3) امحمد جبرون. (2013م). *انشقاق الهوية - جدل الهوية ولغة التعليم في المغرب الأقصى من منظور تاريخي. اللغة والهوية في الوطن العربي* ، ط1 ، 51. بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- (4) بلحبيب، رشيد. (2013م). "الهويات اللغوية في المغرب: من التعايش إلى التصادم". *اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية* ، ط1 ، 247-280. الدوحة، بيروت: لمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- (5) حبيب غزالة. (1935م). *خصائص اللغة العربية بحث في خصائص اللغة العربية الفصحى العامة وما يقابل خصائص الفصحى في غيرها من اللغات* (الإصدار ط1). القاهرة، مصر: المطبعة العصرية بمصر.
- (6) حسن حنفي. (2013م). *الهوية والاعتراف في الوطن العربي. اللغة والهوية في الوطن العربي* ، ط1 ، 193. بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- (7) حلمي خليل. (2016م). *دراسات في اللسانيات التطبيقية* (الإصدار ط1). الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- (8) حنا الفاخوري. (1980م). *تاريخ الأدب العربي* (الإصدار ط10). بيروت، لبنان: المكتبة البوليسية.
- (9) سالم لبيض. (2013م). *المسألة اللغوية في تونس: من أجل مقارنة سوسيو - سياسية - اللغة والهوية في الوطن العربي* ، ط1 ، 386 إلى 388. بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- (10) عبد الرحمن بودرع. (2013م). *اللغة العربية وسؤال الهوية في سياق تحقيق الانتمية نحو منهج لابتعاث اللغة من مصادرها. اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح* ، ط1 ، 113. بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- (11) عبد الرحمن طه. (2000م). *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام* (الإصدار ط2). الرباط، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- (12) عبد الرزاق الدواي. (2013م). *في إشكالية اللغة والتنوع الثقافي. اللغة والهوية في الوطن العربي* ، ط1. لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- (13) عبد القادر الفاسي الفهري. (2013م). *السياسة اللغوية في البلاد العربية، بحثا عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، وناجعة* (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- (14) عبد القادر فضيل. (2013م). *اللغة ومعركة الهوية في الجزائر* (الإصدار ط1). المحمدية، الجزائر: دار جسر.
- (15) عثمان أبو الفتح ابن جني. (1952م). *الخصائص* (المجلد ج3). بيروت، لبنان: دار الهدى.
- (16) علي أحمد مذكور، و إيمان هريدي. (2006م). *تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها* (الإصدار ط1). القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
- (17) فرحان السليم. دت. *اللغة العربية ومكانتها بين اللغات. غير منكور*.

- 18) ماهر زهير غازي زاهد. (2000م). *العربية والأمن اللغوي* (الإصدار دط). الأردن: مؤسسة الرواق.
- 19) محمد عبد السلام المسدي. (2014م). *العربية والأمن اللغوي* (الإصدار ط1). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

• باللغة الأجنبية:

- 1) Suleiman, Y. (2003). *The Arabic Language and National Identity*. (D. G. Press, Ed.) Washington: Georgetown University Press.

• المقالات:

- 1) عبد الله العشي. (2017م). محنة اللغة. مجلة اللغة العربية (العدد 38)، ص 9-131.
- 2) محمد أمارة. (2022م). اللغة العربية ودورها في تشكيل الهوية الجمعية العربية مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 2022 (العدد 131)، ص 113-134.
- 3) محمود السيد. (2018م). الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة، مجلة التعريب، المجلد 28 (54)، 17-62.
- 4) هاشم الأشعري. (2018م). خصائص اللغة العربية الفصحى ومكانتها في الدين الإسلامي. مجلة البيان، المجلد 10 (العدد 1)، 56-149.

• مواقع الانترنت:

- 1) خالد بن سلطان بن عبد العزيز. (1995م). *مقاتل من الصحراء*. تاريخ الاسترداد 30 أبريل، 2024م، من http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/MElmiah12/logat/sec02.doc_cvt.htm.
- 2) محمد نافع العشيري. (2021م). دور اللغة العربية في ترسيخ الهويات الوطنية. تاريخ الاسترداد 30 أبريل، 2024م، من: <https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/20140>